



الأثر المنطقي في الفكر البلاغي عند الثغري التلمساني

The Logical Effect In Rhetorical Thought
of Thaghri Tlemceni

نور الدين محمد¹ بن فريجة عبد الصمد²

¹ جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، noureddine.med75@gmail.com

² جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، k123ed@gmail.com

ملخص

لقد كان الأدب العربي في بلاد المغرب عموماً، والجزائر على وجه الخصوص، -ولا يزال- في حاجة ماسة إلى البحث والتنقيب والدراسة، ولعل ما دون عنه إلى يومنا هذا، ما هو إلا جهد أولي لمجموعة من الباحثين والدارسين، لأنه في مجمله لا يعكس واقع الأدب آنذاك؛ ذلك أنّ أغلب الكتابات كانت تصبّ في مؤلفات المشاركة الذين تمكّنوا من تقديم زخم معرفي هائل أضيف للمكتبة العربية على غرار المغاربة الذين مازال تراثهم الحضاري والفكري في حاجة للاطلاع والبحث. وعلى هذا الأساس، ارتأينا في هذه المداخلة الموسومة ب- الأثر المنطقي في الفكر البلاغي عند الثغري التلمساني- أن ننقل عدسة البحث والدراسة إلى تراثنا الأدبي الأصيل، ونتحدّث عن أديب من فطاحلة الأدب الجزائري القديم، الذين ذاع صيتهم في القرن 8هـ، وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي المعروف بالثغري التلمساني، حيث نسلط الضوء على هذه الشخصية الفذة، التي كانت ولا تزال قامة أدبية، ودعامة معرفية في الأدب العربي عموماً، والجزائري خصوصاً، كما نريد توضيح مدى تأثيره في أعماله بالأدب الأجنبية القديمة خاصة اليونانية منها، ولعلنا نخصّ بذلك الفكر المنطقي الفلسفي، وقد حاولنا في هذا البحث تفصّي الإشكالية الآتية: ما مدى تجلّيات المنطق في الفكر البلاغي عند الثغري؟ وكيف تمكن من إعماله وتوظيفه لمفاهيم المنطق في كتاباته؟

¹ المؤلف المرسل: نور الدين محمد، الإيميل: noureddine.med75@gmail.com

محاولين من خلال ذلك إظهار نقاط التأثير والمحاكاة بين هذا الأديب، والآداب اليونانية القديمة.

كلمات مفتاحية: البلاغة، المنطق، الثغري التلمساني، المغرب، الفكر.

Summary:

Arabic literature in the Maghreb, particularly in Algeria, has long been in urgent need of research, exploration, and study. What has been documented about it to this day is merely a preliminary effort by a group of researchers and scholars, as it generally does not reflect the reality of the literature of that time. Most writings have focused on the works of Eastern authors who have managed to provide a significant intellectual contribution to the Arab library, unlike the Moroccans, whose cultural and intellectual heritage still requires exploration and study. Based on this, we aim in this presentation titled "The Logical Influence in the Rhetorical Thought of Al-Thughri Al-Tlemcenii" to shift the lens of research and study to our authentic literary heritage. We will discuss a prominent figure from the classical Algerian literature, who gained fame in the 8th century AH, namely Abu Abdullah Muhammad ibn Yusuf Al-Qaisi, known as Al-Thughri Al-Tlemcenii. We will shed light on this exceptional personality, who has been and remains a significant literary figure and intellectual pillar in Arabic literature, particularly in Algeria. We also seek to clarify the extent of his influence from ancient foreign pieces of literature, especially Greek literature, particularly focusing on philosophical logical thought. In this research, we attempt to investigate the following issue: How do logical manifestations appear in the rhetorical thought of Al-Thughri? And how did he manage to apply and employ logical concepts in his writings? Through this, we aim to demonstrate the points of influence and imitation between this author and ancient Greek works of literature.

Keywords: Critique of literary criticism; Interpretive approach; Critical epistemology; Arab cultural sphere; Contemporary Arab criticism

1. مقدمة:

مما لا شك فيه أن البيئة العربية حافلة بمختلف الثقافات العلمية والأدبية، حيث اهتم العرب قديما وحديثا بلغتهم، وأخذوا يبحثون في مختلف علومها حتى جمعوا لنا زادا علميا، نفخر به ونتباهى به أمام الأمم، وكان الشعر أبرز ما برع فيه العرب، فدوّنوا فيه مفاخرهم ومآثرهم، وأحسنوا النظم فيه وحرصوا على التفنن في مختلف أغراضه. ويعتبر الأدب في المغرب العربي قديما مادة خصبة للدراسة والبحث، ذلك أنه نبغ ووصل إلى أوجه من خلال احتكاك المغاربة بالشعراء والأدباء المشارقة، فأخذوا عنهم فنون الشعر والأدب فظهرت لنا أعمال خلّدها التاريخ مع أصحابها.

ومن خلال هذا الطرح، حاولنا في هذه الدراسة أن نتحدث عن أحد أعلام المغرب القديم الذي يعتبر شخصية أدبية فذة، لم تأخذ نصيبها الوافر من الدراسة والبحث، وهو الشاعر -محمد بن يوسف- المعروف بالثغري التلمساني، ولا نسعى من خلال هذا العمل إلى الحديث عن شخصه، أو حياته، وإنما نسعى إلى استنطاق أعماله الأدبية، خاصة المتعلقة بشعره، وذلك لكي نلمح مدى اتساع فكره البلاغي، ومدى تأثره بالعلوم الأخرى خاصة ما تعلق بالمنطق والفلسفة، وقد وسمناه بـ:

– الأثر المنطقي في الفكر البلاغي عند الثغري التلمساني-

وانطلقنا في عرض عناصر هذه الدراسة من الإشكالية الآتية: ما هي المرجعية البلاغية عند الثغري؟ وما مدى تجليات المنطق في الفكر البلاغي عنده؟ وكيف تمكن من أعمال وتوظيف مفاهيم المنطق في كتاباته؟

واعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي الذي نسعى من خلاله إلى إبراز مدى مايتخلله الفكر البلاغي عند الثغري من آليات ومباحث مستمدة من عمق التفكير المنطقي، لنخلص في الأخير إلى مجموعة من النتائج المتعلقة بهذا البحث.

البيئة الثقافية والأدبية في ق8هـ:

لقد كانت الجزائر قبل هذه الفترة تابعة للمشرق الإسلامي في حضارتها، وثقافتها، وفنونها، ولعل أهم منطقة كان لها حظ الأسد من إقبال مسلمي الأندلس عليها هي تلمسان، هذه الأخيرة - تلمسان- التي كانت على صلة متينة بالأندلس، وقد حملوا معهم بالضرورة علومهم وآدابهم وفنونهم وعمدوا على نشر هذه العلوم والمعارف إلى أبناء المنطقة⁽¹⁾.

انكبّ أبناء منطقة تلمسان على نهل هذه العلوم والمعارف من الأندلسيين على شكل حلقات تعليم بالمدارس والمساجد، وبخاصة المسجد الجامع هذا المسجد الذي كان رمزاً ثقافياً تعليمياً عربياً إسلامياً منذ عهد سحيق كغيره من المساجد الموزعة في المناطق الجزائرية آنذاك، مثل مسجد طبنة وتمهرت وقسنطينة وعنابة وبجاية ووهران ومدينة الجزائر⁽²⁾.

وعليه فإن تلمسان في عهد بني زيان، أصبحت حاضرة من حواضر العلم والسياسة في العالم الإسلامي، ونبغ فيها العديد من الأدباء والشعراء والعلماء، وقد عرف الأدب الجزائري في هذه الفترة ازدهاراً كبيراً، وتطوراً مذهلاً من حيث الكم والكيف.

لم يكن هذا التطور الذي عرفه الأدب الجزائري آنذاك محض صدفة، إنما كان نتيجة عدة عوامل من شأنها أن دفعت به قدماً نحو التألق والقوة، ومن أهمها: أن جعل الله للبلاد ملوكاً من الأدباء والعلماء والشعراء سعوا حثيثاً في تنشيط الحركة العلمية والأدبية⁽³⁾، فقربوا إليهم أهل العلم والأدب وأغدقوا عليهم الأموال وأحاطوهم بالرعاية والاهتمام.

لقد أصبح البلاط الزياني زاخراً بالأدباء، فكان منهم الكُتّاب الخبراء، والشعراء الساسون للدولة ينطقون بمجدها ويمدحون ملوكها⁽⁴⁾.

لقد وجد الشعراء الأرض الخصبة لمواهبهم، فطبيعة تلمسان وضواحيها الفتانة من شأنها أن تؤثر في مواهبهم وأحاسيسهم، أضف إلى ذلك تلك الأحداث التي أمت بالمنطقة فقد أثرت على قلوب الناس، لا سيما الشعراء منهم.

هذه العوامل وغيرها قد شحذت قرائح الشعراء، فجاءوا بشعر جيد نلمس من خلاله حبهم للوطن، وإعجابهم بطبيعته الساحرة⁽⁵⁾.

أما النثر، فقد اعتنى به الأدباء عناية كثيرة، وأضافوا إليه الخيال الواسع الذي يلائم المجال الإقليمي وزينوه بالتشبيهات والاستعارات والعبارات الأنيقة الرنانة شأنهم في ذلك شأن المشاركة والأندلسيين كما وظفوا السجع، واشتمل النثر عندهم كل مظاهر الحياة السياسية، والعلمية والاجتماعية، وإلى جانب النثر الفني، كان هناك نثر مرسل نلمسه في الأسلوب العلمي، والكتابة التاريخية⁽⁶⁾.

كان حقل الأدب آنذاك بمملكة تلمسان خصباً وسوقه رائجة، عندما حل بها المهاجرون الأندلسيون، والجدير بالذكر أن الأدب قد تأثر أيما تأثر دون أن يفقد شخصيته الجزائرية ومالها من خصائص ومميزات⁽⁷⁾.

شخصيات كثيرة عرفت الدولة الزيانية برعت في عدة مجالات، استطاعت بفضل إنجازاتها العظيمة أن تسجل أسماءها بأحرف من ذهب عبر صفحات التاريخ. ذاع صيتها في كل أنحاء المعمورة، كان لها الفضل البالغ والأثر العظيم في تأصيل الأدب الجزائري آنذاك وامتداده إلى ما بعد الفترة الزيانية.

هي أسماء كثيرة نبغت وبرعت في الفكر والفن، وفي العلم والأدب ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

● الإمام محمد بن عبد المغيلي: (842هـ، ت909هـ) برع في مجال علوم القرآن والحديث والفقه.

● أبو عبد الله بن عمر بن محمد بن خميس الحجري التلمساني (650هـ، ت708هـ). ولعل أهم شخصية أنجبها تلمسان، واشتهرت في القرن 8هـ بلغت أوجها في الأدب ورُزقت حظاً وافراً في الشعر وعلم الكلام، هي شخصية أبي عبد الله محمد بن يوسف القيسي المعروف بـ "الثغري التلمساني" هذا الاسم الذي غفلت عنه أقلام المؤرخين والكتاب عبر الأزمنة والعصور، أردنا أن نكشف عنه ونعرف به، وبعوامل نبوغه وتفردته خاصة بالتزامه للمنطق ومحاكماته لمن سبقه في هذا الميدان، وإلى أي مدى يكمن تأثيره بهذا المنطق في بلاغته وتفكيره البلاغي؟

وللإجابة عن مثل هذه الانشغالات ارتأينا أن يكون هذا البحث حول إزالة الإبهام عن هذه الفكرة وهذا ما سنراه إن شاء الله فيما سيأتي.

المرجعية البلاغية عند الثغري التلمساني:

إلى غاية القرن (8هـ) وهو القرن الذي عاش فيه الثغري التلمساني، تكون بذلك البلاغة قد قطعت أشواطاً كبيرة في مجال تطورها، وهي بذلك أيضاً قد خطت خطوات عملاقة ومتقدمة في مجال دراسة مسائلها المختلفة بيد أنها تبقى تستمد أصولها وجذورها من القرآن الكريم، ويظهر ذلك جلياً في كتب المفسرين الأوائل.

لقد استقى الكثير من العلماء والمفسرين، الذين اتخذوا علم البلاغة مادة لدراساتهم وبحوثهم من أعمال سابقهم وانجازاتهم لاسيما عبد القاهر الجرجاني وما توصل إليه، كونه أول من وضع اللبنات الأولى لهذا العلم، ووضّح قواعده ومرتكزاته التي يقوم عليها.

لقد أخذ الثغري تفكيره البلاغي من مشارب متعددة، فكانت مرجعيته البلاغية ذات مصادر مختلفة وروافد فكرية كثيرة ساهمت في بلورة أفكاره وتوجيه مسارها، وكلها جوانب فكرية متقاربة ومتصلة ببعضها وهي:

الأثر الديني: يتمثل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، متحدياً العرب في لغتهم الأم التي جبلوا عليها والتي أتقنوها ومارسوها تواصلًا وتداولًا، لذلك نجد من الطبيعي أن يكون المصدر الرئيسي في دراسات العرب البلاغية هو القرآن الكريم وعليه فإن هذا الأخير قد أثر تأثيراً

بالغا وبصورة مباشرة في العلماء العرب وغيرهم من جهة، وفي دراساتهم البلاغية من جهة أخرى.

إنّ اعتبار المباحث البلاغية وسيلة للوصول إلى المقصد الدينيّ، زاد الصلة بين الباحث البلاغيّ عموماً والثغري التلمسانيّ على وجه الخصوص قوة وصلابة مما جعله يرى أنّ البلاغة منها ما هو أعلى والمتمثل في الإعجاز المقترن أساس بالقرآن الكريم وما يقرب منه وهو الحديث النبوي الشريف، ومنه ما هو أدنى، ويتمثل في كلام أرباب الفصاحة والبيان وغيرهم كالأدباء والشعراء.

ولعل الملمح الديني عند الثغري يتجلى وبوضوح في كتاباته شعراً أو نثراً، فقد وسمه علماء عصره بالعالم العلامة، وفي هذا الميدان يقول المقري: إنه الثغري الشيخ العالم العلامة الناظم الناصر⁽⁸⁾، الذي تشبع بالثقافة الإسلامية والدينية منذ نعومة أظافره، فقد كرّس حياته في حفظ القرآن الكريم، وكذا الحديث النبوي الشريف فشب على العلم، ونشأ على معرفته بجوانب الدين واللغة العربية، إضافة إلى دعوته الناس إلى تعلّم أصول الفقه والمعاني والبيان ما هو إلا شاهد وإثبات على البعد الديني لهذا الرجل، ونلمح هذا الأثر في قوله:

وَأَعْظَمُهَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لَنَا الْهُدَى فَيَا حَسَنَ مَا يَهْدِي وَيَا فَوْزَ مَنْ يَهْدَى

قد أخذ الشاعر هذه العبارات من القرآن الكريم، وتناصّ في هذا البيت مع قوله تعالى: [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا] (الإسراء: 09)، فأخذ لفظة (القرآن يهدي) في الشطر الأول من البيت⁽⁹⁾، وهنا نلمح مدى نزعة الدينيّة، وتأثره بالقرآن الكريم والسنة النبويّة.

الأثر اللغوي:

لقد تأثرت البلاغة العربيّة بالعلوم الأخرى وانسجمت معها إلى حدّ التكامل فيما بينها، ويعتبر علم اللغة واحداً من هذه العلوم التي كان لها الأثر البالغ في مرجعية البلاغة. لقد أبلى النحاة العرب بلاء حسناً في دراسة الكلام، وتحليله والوقوف عند الجملة وعناصرها وما يطرأ عليها من تغيرات كالتقديم والتأخير، أو الذكر والحذف، وغيرها، ولا عجب من وجود نقاط اشتراك وتقاطع بين علم النحو، والدراسات البلاغية، وخاصة في علم المعاني.⁽¹⁰⁾

وبعد الثغري من الذين تمكنوا من اللغة العربية وأجادوا فيها، ويعود الفضل في ذلك إلى عوامل نشأته ذلك أنه نشأ في بيئة مزدهرة ثقافياً وأدبياً وعلمياً، حيث نشأ في مدينة تلمسان، ودرس الكثير من العلوم بمسقط رأسه وتلمذ على يد مشايخها وعلمائها، وفقهاءها، ومن أشهرهم الشريف التلمساني الذي كان عالماً وفقهاً⁽¹¹⁾.

وأيضاً كان الأثر الواضح لعناية حكام الدولة الزيانية بالأدباء والشعراء، ما أعطى الثغري حظاً وافراً في نظم الشعر، خاصة في فترة حكم أبو حمو موسى الثاني وابنيه، وفي ذلك يقول شوقي ضيف: (فطبيعي أن يعنى بالأدباء والشعراء لعهد، وأن يكون للشاعر محمد بن يوسف الثغري حظ كبير من هذه العناية)⁽¹²⁾.

أثر الفلسفة والمنطق:

لقد عرف انضواء غير العرب تحت راية الإسلام واعتناقهم الدين الإسلامي أثراً كبيراً في تطور الحركة العلمية وازدهار النهضة والثقافة الأدبية، وعليه فإن تأثر علم البلاغة يبدو جلياً بتفكيرهم مع اختلاف مرجعياتهم واساليبهم في البحث والدراسة والتأليف.

تعد البلاغة من العلوم التي نشأت في أحضان الدراسات القرآنية، والتي كانت على صلة وطيدة بعلوم كثيرة منها العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفة، وكذا علم الكلام في جميع مراحل تطورها، منذ نشأتها إلى أن بلغت أوجها، هذه العلاقة بين البلاغة العربية والفلسفة إنما مردّها إلى قضية جوهرية ألا وهي قضية الإعجاز القرآني ونتيجة لذلك فإن علماء البلاغة وغيرهم من أهل الفصاحة والبيان من أدباء وشعراء كان لزاماً عليهم أن يتأثروا أيما تأثر بالفلسفة والمنطق، وكذا بالأقلام التي اهتمت بها ورعتها وخدمتها في عصرها⁽¹³⁾.

ويعتبر الثغري التلمساني واحداً من الذين تأثروا بالعلوم الطبيعية والرياضية كالمهندسة والجبر، وكذا بعلم المنطق والفلسفة، شأنه في ذلك شأن جميع أهل البلاغة الذين جعلوا من علم الفلسفة وعلم المنطق علماً ينهلون منه كل ما يحتاجون إليه، ويعودون إليه بغية تطوير البلاغة العربية وإحيائها من جديد بتوضيح أبعادها وتكملتها مع العلوم الأخرى.

بين المتنبي والثغري التلمساني:

قبل الحديث عن مدى تأثر الثغري بالمنطق والفلسفة، حريّ بنا أن نتحدث قليلاً عن تأثره بالشعر العربي القديم، حيث كان شديد الصلة به ولا يخرج عنه، ولعلّ شعراء المغرب

الإسلامي لم يخرجوا عن قوالب الشعر العربي، وهذا ما نجده في شاعرنا الفذّ، الذي تشبه حياته إلى حد بعيد حياة المتنبي، الذي نجد أنّ له تأثيراً كبيراً في الشعر في جميع فتراته، حيث لاقى صدًى كبيراً في المغرب والأندلس، ولعلّ هذا ما جعل الثغريّ ذو نزعة تقليدية لا تخرج عن القصيدة العربية التي نظمت في تلك العصور.

فالشعر الجزائري القديم لم يكن بمعزل عن الحركة النقدية والأدبية السائدة في المشرق العربي، وكان التواصل الأدبي بين المشرق والمغرب يتم على نطاق واسع، وكانت النظرة النقدية تنطلق من فريضة الأدب العربي وحدة متكاملة تتفاعل فيما بينها، والثغري استعان بالنص المشرقي مستحضراً أشهر القصائد القديمة، واستطاع أن يستحضر النص الغائب بطريقة فنية، تجعله يخدم النص الحاضر، وتنسجم معه، وهذا ما نجده في شعر الثغريّ التلمساني حيث تأثر بشعر المتنبي هذا الأخير الذي أثر في الحياة الأدبية في المشرق والمغرب باعتباره ظاهرة جديدة في الشعر العربي، فهناك تشابه كبير في حياة الشاعرين من ذلك:

-الحياة الاجتماعية والأدبية التي عاشها الثغريّ في كنف حكام بني زيان تشبه حياة المتنبيّ في كنف سيف الدولة.

-كثرة قصائد المدح مرتبطة بالحكام، فمعظم شعر الثغريّ في مدح حكام الدولة الزيانية⁽¹⁴⁾.

-كما لا ننسى أن المتنبي أول من ألبس شعره ثوب الحضارة ورصعه بجواهر الفلسفة والمنطق، والتأثر بالنزعة العقلية المنبثقة عن المنطق الأرسطي والفلسفة اليونانية، وقد استلهم حكمه من تجاربه في الحياة ومن خصائص الشعر الحكيم، والتأثر بالمنطق مخاطباً العقل، منها قوله:

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانِ وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا
وَقُولُوا بَعْضُهُ كُلُّهُمْ مِنْهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانَا

ويقول الثغريّ التلمساني:

أَعْلَلْ نَفْسِي وَالتَّعَلُّ لَا يُجْدِي وَإِنْ كَانَ أَحْيَانًا يَسْكُنُ وَجْدِي
فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ وَالْأَمَانِي ضَبِيلَةٌ إِلَى مَعْبَدٍ بِالنَّاسِ طَالَ بِهِ عَهْدِي

الأثر المنطقي في الفكر البلاغي عند الثغري التلمساني:

كما سبق وذكرنا فإن الثغري قد تأثر بمجموعة من العلوم العقلية والطبيعة، وهي علوم ارتبطت بالإنسان منذ القدم، ومن بين هذه العلوم:

العلم الطبيعي:

ويشمل هذا العلم المعدن والنبات والحيوان، وكل ما يتعلق بالطبيعة، ونجد في كتابات الثغري معجماً خاصاً بالطبيعة، ولعل هذا الأمر يعكس مدى ولعه بمدينة تلمسان مسقط رأسه، حبه الشديد لها واعجابه بمناظرها ومعالمها المختلفة، وذلك في قوله:

تَاهَتْ تَلْمَسَانُ بِدَوْلَتِهِ عَلَى كُلِّ الْبِلَادِ بِمَنْظَرِهَا الْجَلِيِّ

وقوله⁽¹⁵⁾:

قُمْ فَاجْتَلِي زَمَنَ الرَّبِيعِ الْمُقْبِلِ أَتَرَمَّا يَسُرُّ الْمُجْتَلِي وَالْمُجْتَلِي
وَانْشِقْ نَسِيمَ الرُّوضِ مَطْلُولًا وَمَا أَذْهَاكَ مِنْ عَرَفٍ وَعُرْفٍ فَاقْبِلِي
وَانْظُرِي إِلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ كَأَنَّهُ دُرٌّ عَلَى لُبَّاتِ رَبَّاتِ الْحَلِيِّ

علم المنطق:

لقد حاول الأدباء والشعراء منذ أمد بعيد إبراز خطاباتهم ونصوصهم الشعرية والتأثير في قالب ينم عن مدى اهتمامهم بإقناع المتلقي، وذلك لمعرفة أنهم أنّ الخطاب بمختلف أشكاله يؤدي إلى اقناع المتلقي، فخصّصوا للحجاج له جزءاً هاماً من اهتماماتهم، حيث يتركز الخطاب الشعري على مكونين هامين يتمثلان في الوظيفة الإقناعية التي تهدف إلى إبراز جمالية الصور والخطابات، والوظيفة الإقناعية التي تهدف إلى استمالة العقول وإقناعها وتحقيق كلا الوظيفتين في الأساليب والأدوات النحوية والبلاغية المتعددة، وهذا ما سنحاول التركيز عنه من خلال:

حجاجة الصور البيانية في شعر الثغري:

إنّ الخطاب الشعري عند الثغري ليس مجرد نظم يلقيه ليلمس به السامع مواطن الجمال، والصور المختلفة بل هو خطاب موجه يحاول فيه إقناع المتلقي بفكرة محدّدة من منطلق معين مع الاعتماد على مختلف الحجج المنطقية التي تضيفي على الخطاب الشعري بعداً آخر، وهو البعد الإقناعي، وقد وظّف الثغري هذا الأمر في قصائده، ومن ذلك:

حجاجة التشبيه:

لقد طغى الطابع التشبيهي على مختلف قصائد الثغري، فأكثر منها لما تتميز به من البساطة وعد التكلف، ومن ذلك قوله:

دُوَابِ تَسَامٍ كَزْهَرِ رَوْضٍ مَجُودٍ وَانْتِظَامٍ كَسِلْكِ دُرٍّ مُجَادٍ

نلمس من خلال هذا البيت سبكا نحويا متناغما، وتركيبا لغويا محكما، وسليما، وقد شبه البيت الشعري بسلك الدر، وهو العقد الذي تترنن به بالمرأة، ولكي يبدو الأمر منطقيًا انتقل من عالم الحقيقة إلى عالم الخيال، فالذي يربط بين (البيت الشعري) و(سلك الدر)، هو الاشتراك في صفات مثل: جودة السبك، التزيين، الانتظام، في حين يختلفان في كون الأول- بيت الشعر- شيء معنوي والثاني- سلك الدر- شيء مادي، وهذا التناغم الذي شكّل لنا صورة لم يألفها المتلقي، قصد بها الشاعر تقريب المعنى الذي يرمي إليه، وبيان مقدار حاله في نفس المتلقي ليغدو أظهر وأقوى⁽¹⁶⁾

حجاجة الاستعارة:

تعتبر الاستعارة من أقوى الآليات اللغوية إقناعا، وتكمن قوتها في قدرتها على معرفة مواطن الإثارة في الكلام ومدى تأثيره على نفس المتلقي وتفكيره، فهي أقوى من الحقيقة، وقد عرف العرب الاستعارة في خطاباتهم الشعرية والتواصلية المختلفة لما تقدّمه من تأثير في نفس المتلقي، واستثارة عاطفته، وهذا ما نجده عند الثغري الذي وظّف الاستعارة في بعض قصائده منها في قوله:

ضَحِكَ النُّورُ فِي رُبَاهَا وَأَرْبَى كَهْفٌ ضَحَّاكُهَا عَلَى كُلِّ نَادِي

ففي هذا البيت الشعري نجد عدولا في المعنى في قوله: (ضحك النور)، حيث أسند الفعل (ضحك) للفاعل (النور)، وهو على المستوى التركيبي يشكّل انسجاما نحويا سليما، إلا أنّه في المعنى مختلف، ذلك أنّ النور شيء معنوي غير بشري، ألحقته خاصية يتفرد بها الانسان، وهي الضحك، فالشاعر هنا أخذ صفة تتعلّق بالجنس البشري، ونسبها إلى النور، وذلك في وصفه لمشهد أعجب به، فحاول التفنّن في وصفه من خلال هذه الصورة. حيث عوّض الإنسان بالنور، وعمل على تغييبه حتى يتناسى السامع المشبه به، فعمد إلى تخيل صورة جديدة تنسي روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي⁽¹⁷⁾، وهذه صورة كان الهدف منها تشخيص الجماد في صورة كائن حي ناطق⁽¹⁸⁾، وهي صورة تهدف إلى التأثير في المتلقي ولفت انتباهه إلى جمال مدينة تلمسان.

الحجاج والمقام:

الحجاج ليس مجرد عملية لحشد الحجج وربط الكلام مع بعضه، وإنما هو مجال يعتني بجملة من الاختيارات التي يوظفها الخطاب على مستوى المعجم والتركيب، وغيرها، وهذه الاختيارات تراعي غاية الخطاب وعلاقة الشاعر أو الأديب بالمتلقي، كما أنها تسعى إلى ملائمة أحوال المتلقي، ومقتضيات المقام.

فمراعاة المقام تساعد على تحقيق الغاية من الخطاب وهي الإقناع، فغاية المتكلم هي الاستحواذ على انتباه السامع ونجد من أمثلة مراعاة المقام في شعر الثغري، ما كتبه في مقام المدح والوصف والرثاء، ومن أمثلة ذلك قوله في مقام المدح⁽¹⁹⁾:

لَهُ جُيُوشٌ لَهَا نَارٌ مُضَرَّمَةٌ وَقُودُهَا النَّاسُ لَكِنْ مَنْ لَهُ ضَرَرٌ
نَعَمْ، وَفِيهَا لِمَنْ وَالْأَهْ مَنْفَعَةٌ كَالسُّحْبِ يُوجَدُ فِيهَا النَّارُ وَالْمَطَرُ
يَقُودُنَا مَلِكٌ فِي بُرْدِهِ مَلِكٌ فِي دِرْعِهِ أَسَدٌ فِي تَاجِهِ قَمَرٌ

استعار الثغري من صور الطبيعة ما يناسب المقام، فقد يجسد لنا صورة واضحة عن الممدوح، ففي شعر مزيج من الجمال والخيال، تشكل لنا في هذه الأبيات، فممدوحه يدفه الكرب، ويجلب الغنى والأمن، وجيوشه نار على الأعداء. فهو قائد حكيم يسوس البلاد بحكمة وعقل راجح.

المنطق واللغة:

إنَّ العلاقة بين المنطق واللغة قديمة ووثيقة، لأنَّ، أسباب نشأة المنطق ترجع إلى إشكالية التعبير اللغوي، حيث وضع المنطق من أجل إزالة التلاعب بالألفاظ، ومن المعروف عن الفكر اليوناني أنه عرف فترة تتميز بظاهرة السفسطة، وكان سقراط SOCRATE أول فيلسوف يتصدى لها حتى قضى نحبه ثم جاء أفلاطون platon بمحاولة أخرى لإقناع الناس بفساد المنهج السوفسطائي دون جدوى، لكنَّ أرسطو Aristote انتبه إلى موطن الفساد، فوضع أداة المنطق التي تكتشف وتفضح التفكير الفاسد، الذي هو التلاعب بالألفاظ.

الأمر الذي أوحى فيما بعد على أنَّ المنطق فرع من اللغة، أي أن أبحاثه في موضوع اللغة كتقسيم اللفظ إلى مفرد ومركب، وإلى المرادف والمشتراك والمتباين لذلك زعم اللغويون أنَّ اللغة وسيلة التعبير الجوهرية عن الفكر، وبما أنَّ المنطق يبحث في الفكر كذلك فلا مناص له أن يكون له تعلق باللغة ولا تعبير خارج اللغة، لأنَّ جميع العمليات الفكرية يعبر عنها باللغة.

ولا شك أنّ الصلة بين اللفظ والمعنى أخذها كحجة وذريعة لإثبات دعواهم خاصة عند السوفسطائية والرواقية، فقد اشتهر السوفسطائيون بالتلاعب بالألفاظ، وأمّا الرواقيون فقسّموا المنطق إلى فنون كالخطابة والجدل وغيرها، فإنّ كلام الخطابة متصل وقائم على التأثير اللفظي والمعنى السحري، وأمّا الجدل ففيه سائل ومجيب، وهو أحسن طريق للفكر عند الفريقين لهذا نجد سقراط وأفلاطون قد استخدما منهج الخصوم من أجل تصحيح معاني الألفاظ المتلاعب بها.

كذلك كان المسلمون قد رفضوا المنطق في البداية لأنهم اعتقدوا أنّه نحو للغة اليونانية، لكنّ أنصار المنطق بينوا لهم أنّه ليس كذلك ويمكن القول أنّ العلماء المسلمين قد انقسموا إلى ثلاث فرق:

* الفرقة الأولى: "النحويون الخالص"

يرون أنّ النحوي لا يحتاج إلى المنطق وأمّا المنطقي فيحتاج إلى النحو لمعرفة حركات الأفعال والأسماء والحروف لإفادة التعبير.

* الفرقة الثانية: "المنطقيون"

يرون أنّ المنطقي لا يحتاج إلى النحو لأنه يعتني بالمعاني لا بالألفاظ اللغوية، واستدلوا على ذلك بقول الشاعر:

أَمْرُ عَلَى الدِّيارِ دِيَارٌ لَيْلَى أَقْبَلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارِ
وَمَا تِلْكَ الدِّيارِ شَغْفَنَ قَلْبِي وَلَكِنَّ حُبَّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارِ

هذا يعني أنّ هناك فرقا شاسعا عند المنطقيين بين اللفظ والمعنى، كالفرق بين المراد عند الشاعر والأطال.

* الفرقة الثالثة: "الفريق الوسط"

كأبي سليمان السجستاني الذي يرى أنّ المنطقي يهتم بالمعاني، لكنه في الوقت نفسه لا ينبغي أن يخلّب الألفاظ، مع ذلك هناك فرق بين وظيفة النحوي ووظيفة المنطقي، فالنحوي يرتب الألفاظ حسب ما جرت به عادة القوم أي يرد المعاني إلى ما هو معروف لديهم، وأمّا المنطقي فإنه يرتب المعنى حسب الحق والصواب وما يميله العقل لا العادات الاجتماعية، لأن المعنى في اللغة يتحدد باللفظ وفي المنطق يتحدد بالعقل لذلك قال السجستاني: «النحو منطق عربي، والمنطق نحو عقلي»²⁰

الروابط اللغوية في شعر الثغري:

يوجد مجموعة من المؤشرات والعناصر اللغوية التي تربط بين الحجج والنتائج وتنظم العلاقات بينها، ومن بين هذه العناصر اللغوية أدوات الربط، وهي كل أداة تربط بين لفظتين أو جملتين بحيث تشكل الأولى مع الثانية علاقة مترابطة، ولعل هذا ما نجده في أدوات العطف، وحروف الجر، وأدوات الاستفهام والشرط، وغيرها من الروابط. وقد ركزنا في هذه الدراسة على نوعين من الروابط وهي:

1- روابط الوصل: وهي ألفاظ تقوم بدور الرابط بين أجزاء الجملة الواحدة، أو بين جملتين متتاليتين، أو بين الفقرات التي يتشكل منها النص، ويكون الغرض منها حسن صياغة، والترابط بين الأفكار، إضافة إلى إبراز رأي المرسل، والتأثير على المتلقي، وحالة من خلال تقصي أعمال الثغري الشعرية دراسة بعض الروابط من بينها:

الواو: تفيد الواو معنى الجمع والاشتراك، وتعتبر من الأدوات التي يوظفها الشعراء بكثرة حتى يتسنى لهم صياغة أفكارهم في قالب لغوي سليم، وقد اتسمت قصائد الثغري بجمالية ساهمت في إبرازها هذه الروابط خاصة في وصفه لمدينة تلمسان ومنها قوله:

فَمَ فَاجْتَلِي زَمَنَ الرَّبِيعِ الْمُقْبِلِ أَتَرَمَّا يَسُرُّ الْمُجْتَنِي وَالْمُجْتَلِي
وَانْشَقَّ نَسِيمُ الرُّوضِ مَطْلُولًا وَمَا أَذْهَاكَ مِنْ عَرَفٍ وَعُرْفٍ فَاقْبِلِي
وَانظُرِي إِلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ كَأَنَّهُ دُرٌّ عَلَى لُبَّاتِ رَبَّاتِ الْحَلِي

يصف الثغري في هذه الأبيات جمال مدينة تلمسان، لينسج لنا صورة فنية في وصفه للربيع، وجماله، حيث وظف حرف العطف الواو، وهذا بغرض الربط بين صور الطبيعة المختلفة في هذا الفصل، فذكر ما تتميز به هذه المدينة من جنات ورياض. وفي موضع آخر يعرج على ذكر أهم معالم تلمسان، كما نجد يوظف أداة الربط الواو، وذلك في قوله⁽²¹⁾:

عَرَّجَ بِمُنْعَرَجَاتِ بَابِ جِيَادِهَا وَافْتَحَ بِهِ بَابَ الرَّجَاءِ الْمُقْبِلِ
وَاعْدُ إِلَى الْعِبَادِ مِنْهَا غُدُوَّةٌ تُصْبِحُ هُمُومُ النَّفْسِ عَنْكَ بِمَعَزَلِ
وَضَرِيحُ شَيْخِ الْعَارِفِينَ شُعَيْبُهُ زُرُّهُ هُنَالِكَ إِنَّهُ نِعْمَ الْوَلِي
فَمَزَارُهُ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا مَعًا فِيهِ دُنُوبُكَ أَوْ كُرُوبُكَ تَنْجَلِي

حيث يذكر في هذه الأبيات بعض المعالم الخاصة بمدينة تلمسان في قالب شعري جميل ممزوج بمشاعر الثغري، فقد وظف الواو في تعداده لمختلف المعالم، وكان الغرض من ذلك إيصال فكرة للمتلقي والتأثير عليه، متمثلة في حبه الشديد وتعلقه بمدينة التي تغنى بها في الكثير من قصائده، والترغيب في زيارتها.

بنية التكرار: يشكل التكرار عنصرا مهما في الحجاج، ذلك أنه يبرز حضور الفكرة المراد إيصالها للمتلقي والتأثير عليه، ونجده في شعر الثغري يضيف طاقة تأثيرية للخطاب الشعري عنده، كما أنه يفيد التأكيد وترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي بعد تبليغه، وتكرار اللفظة في حد ذاتها لكثير من مرة يعتبر أسلوبا من أساليب الاقناع، نلمس من ذلك قول الثغري⁽²²⁾:

مَلَائِكَةُ الرَّحْمَانِ قَدْ قَاتَلَتْ مَعَهُ الْعِدَى بِغَزْوَةٍ بَدْرٍ حِينَ حَلَّ الْعِدَى بَدْرًا

ففي هذا البيت تكررت كلمة العدى مرتين، إلا أنه إذا تعمقنا المعنى فنجد أنه يقصد بالأولى الأعداء بصفة عامة، وفي المقطع الثاني خص به الأعداء في غزوة بدر. في حين قال⁽²³⁾:

أَعَادَ الْأَعَادِي فِرْقَتَيْنِ بِحُكْمَةٍ فَمِنْ فِرْقَةٍ قَتَلَى وَمِنْ فِرْقَةٍ أُسْرَى

وقد تركزت كلمة فرقة بهدف تفصيل وتوضيح المعنى المتعلق بغزوة بدر، التي انهزم فيها الأعداء وتفرق شملهم بين قتلى وأسرى.

خاتمة:

في الأخير، يمكن القول بأن الأدب المغربي القديم لا يقل أهمية عن الآداب الأخرى، خاصة في المشرق العربي حيث تجاوز الاهتمام في المغرب بالأدب والعلوم حدود الزمان والمكان، فبرز شعراء وأدباء في كل أرجاء البيئة العربية، وتميزت الحضارة العربية بشخصيات بارزة ومهمة، وبالرغم من أنها لم تلق نصيبا كبيرا من الدراسات، إلا أنها تعتبر شخصيات عظيمة قدمت لنا علما واسعا، وسفرا من الكتب والعلوم التي لا زال صيتها ذائعا، وهذا ما تميز به أديبنا الثغري التلمساني، الذي بالرغم من قلة البحوث التي حامت حوله، إلا أنه يمكن القول بأن تلمسان محظوظة بوجود أديب ذو اطلاع واسع بمختلف علوم عصره، ومعرفته بفنون الأدب، إضافة إلى زاده الديني وهذه الصفات قلما نجدها في شخصية واحدة، ومن خلال هذه الدراسة يمكن أن نجمل ما خلصنا إليه في النقاط الآتية:

- شخصية الثغري التلمساني شخصية متفردة، جمعت بين النزعة الدينية والأدبية والعقلية، نظرا لاهتمامه الشديد بالمعرفة والعلم، ومعرفته الكبيرة بأحوال عصره.
- تميّز الثغري التلمساني بميوله الديني، وهذا راجع إلى طبيعة نشأته، إضافة إلى البيئة التي عايشها، والتي تميزت بغلبة النزعة الدينية، وانتشار تعاليم الإسلام.
- عُرف الثغري باطلاعه على علوم عصره من العلوم الطبيعية والفلسفة والمنطق والرياضيات وغيرها.
- تميز الثغري في مجال الأدب بحبه لنظم الشعر، والتفنن في مختلف أغراضه من مدح ووصف ورثاء وغيرها.
- المتأمل في أدب الثغري، يرى مدى تأثره بالأدب المشرقي، خاصّة وأنّ الطبيعة البيئية كانت متقاربة.
- تميّز قصائد الثغري بمختلف الأساليب والصور والتركيبات اللغوية المختلفة، وهذا نتيجة معرفته واطلاعه الواسع على علوم اللغة العربية وتمكّنه منها.
- تأثر الثغري بالمنطق والفلسفة نتيجة حتمية، وذلك لأنّ الصبغة التي طغت على الشّعْر في كلّ من المشرق العربي والمغرب ذات نزعة عقلية، وبالتالي كل ما طرأ على بنية القصيدة كان نظرا لتأثر الشعراء في المغرب بغيرهم من المشاركة.
- مراجع البحث وإحالاته:

- 1- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، دار الثقافة، الجزائر، 2007، ص114.
- 2- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص124.
- 3- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، دار الطباعة، الجزائر، 1908، ص299.
- 4- محمد التبسي، نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان، الجزائر، 1971، ص60.
- 5- المرجع نفسه، ص63.
- 6- محمد التبسي، نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان، ص64.
- 7- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، دار الثقافة، الجزائر، 2007، ص134.
- 8- المقري التلمساني أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ص121.

- 9- عبد العزيز فيدوح، أشكال التناس في الشعر الجزائري القديم، شعر الثغري التلمساني أنموذجا، مجلة الباحث، العدد 02 ص 151.
- 10- ثناء نجاتي، محمود عياش، الجهود البلاغية للتفتازاني، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006، ص 35.
- 11- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 108.
- 12- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في عصر الدول والامارات، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1990، ص 139.
- 13- أمين الخولي، مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1961، ص 145.
- 14- عبد العزيز قبيوح، أثر الشعر العربي القديم في الشعر الجزائري، قراءة تناسية في شعر الثغري التلمساني، مجلة الفضاء المغربي المجلد 02، العدد 04، ص 78.
- 15- الثغري التلمساني، أبو عبد الله محمد بن يوسف، الديوان، نوار بوحلاسة، ص 113.
- 16- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1993، 3، ص 235.
- 17- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص 283.
- 18- طراف طارق النهار، علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د ط)، (د ت)، ص 78.
- 19- الثغري التلمساني، أبو عبد الله محمد بن يوسف، الديوان، نوار بوحلاسة، ص 63.
- 20- رشيد قوقام، أسس المنطق الصوري، ص 39.
- 21- الثغري التلمساني، أبو عبد الله محمد بن يوسف، الديوان، نوار بوحلاسة، ص 113.
- 22- الثغري التلمساني، أبو عبد الله محمد بن يوسف، الديوان، نوار بوحلاسة، ص 45.
- 23- الثغري التلمساني، المرجع نفسه، ص 84.
- قائمة مراجع البحث:
1. ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، دار الطباعة، الجزائر، 1908.
2. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، لبنان، (د ط)، (د ت).
3. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1993، 3.
4. أمين الخولي، مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1961.

5. المقرئ التلمساني أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس دار صادر بيروت، 1968.
6. الثغري التلمساني، أبو عبد الله محمد بن يوسف، الديوان، نوار بوحلاسة، منشورات مخبر الدراسات التراثية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2004.
7. ثناء نجاتي، محمود عياش، الجهود البلاغية للتفتزاني، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
8. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في عصر الدول والامارات، دار المعارف، القاهرة، ط1.
9. طراف طارق النهار، علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د ط)، (د ت).
10. عبد العزيز فيدوح، أشكال التناص في الشعر الجزائري القديم، شعر الثغري التلمساني أنموذجا مجلة الباحث، العدد 02.
11. عبد العزيز قيبوح، أثر الشعر العربي القديم في الشعر الجزائري، قراءة تناصية في شعر الثغري التلمساني، مجلة الفضاء المغربي، المجلد 02، العدد 04.
12. محمد التبسي، نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان، الجزائر، 1971.